جمعية المافيا

الرهيبة

انهدم بنيان جمعية المافيا المجرمة التي كانت قابضة يده من حديد على رقاب اهالي جزيرة صقلية منذ عدة اجيال تقتل وتنهب ملقية الرعب في قلوب السكان البؤساء ولكن اتيح لحاكم الجزيرة الفاشستي القضاء عليها قضاء مبرما بعد نضال استمر اربع سنوات قدم على اثرها ١٥٤ ما فيوزي (نسبة الى مافيا) من الجنسين ومن مختلف الطبقات الاجتماعية مصفدين بالحديد الى المحكمة لمعاقبتهم على الجرائم التي اقترفوها من قتل الى نهب الى تسميم الى اضرار بالمحاصيل فلم يبرأ الا سبعة في حين حكم على كل فرد من الآخرين بعشرين سنة مع الاشغال الشاقة او بما يقل عن ذلك وقد بلغ مجموع سني الحكم زهاء العشرين قرنا (٢٠٠٠ سنه)

وقد تعود الناس على جرائم هذه الجمعية لطول مدة عيشها بالامن ولشد ما كانت دهشتهم عند ما افاقوا من نومهم ذات صباح وعلموا ان آخرة المافيا قد اتت

وتكونت نواة الجمعية من فرسان العصور الوسطى الذين شردتهم الكنيسة والاقطاعيات فكان تكوينها لقصد شريف وكان همها منحصرا في اليد في سلب الكنيسة والاقطاعيين الاغنياء لمساعدة الفقراء المظلومين وسارع اليها الناس رغبة في درء الاخطار عن ذواتهم او للانتقام من مضطهديهم فكانت تفعل ذلك وتمدهم ايضا بالمال ولكنها لم تلبث حتى اصبحت مجموعة من القتلة واللصوص والنصابين والمقامرين والمزورين وكان كل منهم يقوم بالعمل الذي اختص به تحت جنابها وكانت تضرب الضرائب على المزارعين والصناع وكافة العاملين وحتى على العاهرات . وكانت تقوم بالمظاهرات السياسية نظير أجر ولسوء الحظ كان الاهالي لا يشهدون ضد افرادها مفضلين في بعض الاحوال السجن عن تعريض ذواتهم لانتقامها وكانت الجمعية تلقب الذي يضلل البوليس « رجل شريف »

ويرجع بعض الناس بتاريخها الى ما قبل المسيح ، ثم يقولون بان الذين اسسوها

هم مستمرو اليونان من الفيثاغوريين (اتباع الفيلسوف المشهور) ولكن البعض الآخر يقول ان اصلها عربي بدأت حين كانت الدولة الاندلسية في ازدهارها

ومما لاجدال فيه انها كانت في عصر من العصور جمعية سرية تعمل للاستقلال وكان من بين تعاليمها عدم طلب التدخل من الغاصب لاجراء العدالة ولذلك كانت الجمعية تسعى لارجاع الحق لنويه بيديها وكانت تضطهد كل من التجأ الى المحاكم النظامية ولكن كل هذا قد استبدل رويدا رويدا حتى ان دورها السياسي في الآونة الاخيرة كان مملوءا بالاغراض الفاسدة فكانت تتداخل في الانتخابات لصالحها حتى أنه يقال إنه قد عين وزيران لايطاليا من بين زعمائها وكذلك بعض القضاة ورجال البوليس منها. ولم يكن امام الذين يعارضونها من ذوي المناصب الا ان يستقيلوا من مناصبهم فاذا ما قام مثلا احد وكلاء النيابة من غير المنتسبين اليها للتحقيق مع احد اعضائها يجد امامه عقبات جمة ثم يضيع مستقبله انلم يقتل في رابعة النهار وهو سائر في شارع مطروق وكم حاولت الحكومة الايطالية القضاء على هذه الجمعية ولكنها اخفقت وقد حوكم نائب ينتمي الى هذه الجمعية بتهمة قتله لاحد المالطيين عام ١٨٩٢ ومع ان الحكومة اتخذت كافة الاحتياطات للقضاء على سيطرة الجمعية حتى انها اجرت المحاكمة بواسطة قضاة ومحامين ووكلاء نيابة من الذين لم يدخلوا الجزيرة بعد التأكيد لهم بانهم لن يدخلوها ، فقد اخفقت .

وليس من السهل التسليم بان الضرائب كان تدفع للجمعية من الاهلين قبل دفع ضرائب الحكومة ، ولكن هذا هو الواقع لانهم اذا امتنعوا عن الدفع فليس امامهم الا الخراب العاجل وكانت تجبر اصحاب الاعمال على استخدام بعض اعضائها ليعطوا بيانات عن مقدار الثروة الواجب دفع ضريبة عليها وفي نظير ذلك كانت تقوم الجمعية بحراسة الاهلين ضد السرقة وغيرها وكانت الجمعية تحتكر لاعضائها حق الاجرام وتناهض كل مجرم لا يأتمر باوامرها

وقد حدث ان شجر خلاف بين اعضاء الجمعية فصاروا يقتلون بعضهم البعض واستمر ذلك لمدة اشهر الى ان اتفق الحزبان على المصافاة وكثيرا ما كانت تنصف حتى في اواخر ايامها من يلتجيء اليها من المظلومين ضد المرابين وارز أسماليين دون ان تتقاضى لخدمتها رسما

ومن حسناتها ان احد الموسيقيين الفقراء شكا اليها سرقة معزفه وهو كل رأس ماله فلما رجع الى منزله فى اليوم الثانى وجده فى مكانه وكانت هذه الافعال تحبب بعض الناس فيها وهم غير المعرضين لاضطهادها لفقرهم وكانت افعالها هذه اكبر صعوبة واجهها «موسيليني» ورجاله عند محاولة القبض على اعضائها وقد عمل احصاء فى ٧٩ منطقة من ٣٦١ منطقة فى صقلية تقدر انه قد قبض على ١٠٨٦ عضواً من المافيا انهم ٣٥٧ منهم بالقتل و ١٠٦ بشروع فى قتل و٨٣ سرقات باكراه وقد ذكر موسوليني فى خطبة له سنة ١٩٢٧ ان الحكم الفاشستى قد افلح فى اقتاص المجرائم هناك وقدم الاحصاء الاتى

سنه	سرقات	نهب	نصب	قتل	تخريب	اغتصاب
١٩٢٣	١٤١٦	٢٣٨	١٦	٦٧٥	١٣٢٧	٧٣٩
١٩٢٧	٢٩٨	١٢١	٢	٢٩٩	٨١٥	٤٦٩

وقد ساعد فى القضاء عليها قاض اسمه جيامبيترو لم يتهم بالتهديد والترغيب فكان يحكم بشجاعة احكاما قاسية على من يقع فى يديه من اعضاء الجمعية ولهذا القاضى قول مأثور هو أن نهاية المافيا تأتى عندما تقدر المحاكم على محو ذكرها من افكار الاهلين وقد اختار موسيليني رجلا صلب العود من رجال حزبه هو (موري) فعينه حاكما على الجزيرة وخوله سلطات واسعة ولم تزد تعليمات موسيليني اليه عن وجوب إبادة المافيا بكل الطرق وباى ثمن واوصاه بألا يهتم بعقبة تعترضه ، فانت حاكم مطلق لصقلية و كل مساعدة تحتاج اليها تقدم اليك بدون مناقشة ولن تجد من يحاسبك على ما تفعله وليكن اتصالك دائما معى . اضرب بسرعة وبدون رحمة لاتراعى مركزا ولا ثروة ولا سناو أمر اتباعك ان يطلقو الرصاص دون رحمة ، وقد فعل موري ما امره به موسليني ونفذه حرفيا حتى ان الجمعية لقبته (بالجزار) لعظم الضرر الذى كان يصيبها به

بدأ عمله برفت رؤساء البوليس و القضاة ورجال النيابة لاعتقاده بانهم كانوا ضمن اعضاء الجمعية وأحل بعد ذلك من يثق فيهم مكانهم وقد استورد رجالا للبوليس من ايطاليا واستمد مساعدة رجال الفاشيست وبذلك امسك بآلة موالية وبدأ بالقاء القبض على العظماء ممن اشتبه فيهم واستنطقهم فى السجن واستنتج منهم براهين قوية تمكن بها من القبض على أهم رجال العصابة وقدمهم للقضاء ولكنه صادفه عقبة هى

خوف الناس من تأدية الشهادة وهنا لعبت النيابة دورا لقنا فى الاسبوع الأخير محل باح البعض بما عندهم من الاسرار فلم يتركهم الحاكم عرضة للخطر بل حماهم الثانى فمن قول من الجمعية فشجع غيرهم للادلاء بما عندهم واستمر القبض على أعضاء الجمعية متتابعا وتمت المحاكمة فى ارض صقلية للمرة الاولى منذ عدة قرون وقد بلغت خسارة الحكومة من رجال البوليس فى هذا النزاع ١١ قتيلا و٥٣ جريحا وقد كوفىء ٣١ من رجال البوليس لشجاعتهم الخارقة

ولم يكن موري بالرجل السهل فكم من مرة رأس حملات المطاردة بنفسه متعرضا للخطر . الامر الذى القى الرعب فى قلوب رجال العصابة ومن ضمن القصص المسلية التى يتناقلها اهالى صقلية فى الوقت الحاضر قولهم إن بعض رجال العصابة تحصنوا فى منزل وعندما حاول البوليس اقتحامه فما كان من موري الا ان تقدم الى الباب وطرقه فسأل من فى المنزل من هذا فقال لهم انا موري فحاروا فى امرهم وفتحوا له الابواب مسلمين ذواتهم له

وليس معنى هذا أن عمل الفاشست قد تم بموت المافيا بل بالعكس فان امام الحكومة اليوم عمليات تنظيفية عديدة ولازال الفاشست فى الاذهان بفضل تعاليم الجمعية من وجوب كراهية الحكومة ومعاداتها حتى اصبحت هذه التعاليم من لزوميات عقليه الصقلى

ـ ملخصة ـ

ابو العنين

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

نهضة فرنسا العلمية

نقلها عن العلامة مرتز

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها